صناعة الشخصية المسلمة تربويًّا، سورة يوسف عليه السلام أُنْمُوذَجًا

مَدْيَن بن جمال الصالح
جامعة النجاح الوطنية . غزة . فلسطين
mdynjmal@gmail.com

مقدمة

الحمد لله على نعمائه، والشكر له على تفضله وإحسانه، وأفضل الصلاة والسلام على أفضل أنبيائه، وأعظم أوليائه، وعلى جميع آله وأصحابه. وبعد:

جاء القرآن الكريم نوراً وهداية، ومِن نوره المبين إصلاح النفس وتربيتها على قيم الخير بتوضيحها وبيانها لها، والترغيب في التحلي بها، وبيان عاقبة مَن تَحلَّى بها في الدنيا والآخرة، وجاء بالتحذير مِن قيم الشر التي تَعْرِض للنفس، فبيَّنها وجَلَّاها ونَفَّر منها ببيان حقيقتها، وعاقبة مَن اتصف بها في دُنياه وأُخْرَاه. كل ذلك لصناعة شخصية مسلمة، تتحلّى بأجمل لباس مِن أخلاق التربية المحمودة، ولتخلع عنها كل خُلُق ذميم، وتَنْبِذَ كل سلوك سيء؛ لتكون رائدة في تميزها الأخلاقي التربوي.

وكان مِن جميل أساليب القرآن الكريم لتحقيق ذلك أنْ صوَّرها في قصصٍ قرآني رائق بديع مِن الواقع؛ لتتحفز الشخصية المسلمة للاقتداء بأصحابها، فهي نور تُحتذَى، ومِن أروَع ما تألَّق رسم الأخلاق الفاضلة في آياتها، ورسم الأخلاق الذميمة في أشخاصها، تجسيداً واقعياً، يُلامس القلوب والمشاعر، ويُخاطب العقل أيضاً، سورة يوسف عليه السلام.

الدراسات السابقة :

قد حظيت سورة يوسف ــ عليه السلام ــ باهتمام كبير مِن الدارسين، مِن زوايا متعددة كل حسب تخصصه ومجاله، ما بين الإدارة والتربية والبلاغة والنحو والقانون والاقتصاد وغيرها، والدراسات التي تناولت هذه السورة الكريمة تربوياً:

1/ الجانب التربوي في سورة يوسف ــ عليه السلام ــ رسالة دكتوراة للباحث: محمد الوعيل، تحدث في الفصل الثاني مِن رسالته عن العفة والصبر، وعن الحسد والإغراء الجنسي، وقد أفاض فيهما، وفاته كثير مِن الصفات التي جاءت في هذه الدراسة .

2/ دور العقيدة في بناء الشخصية المسلمة في ضوء سورة يوسف ــ عليه السلام ــ،

رسالة ماجستير للباحثة: عطاف حتحت، بالجامعة الإسلامية بغزة، تحدثت في الفصل الأول عن دور العقيدة الإسلامية في ترسيخ خلق الصبر والثقة بالله تعالى والتوكل في بناء شخصية يعقوب عليه السلام، وفي الفصل الثاني: جاء الحديث فيه عن دور العقيدة الإسلامية في ترسيخ الصبر والتحلي بالتقوى والإحسان في شخصية يوسف ــ عليه السلام ــ، وقد فات الباحثة الكثير من الصفات التي تناولتها هذه الدراسة.

(أ) بعض المبادئ التربوية المستنبطة مِن قصة يوسف ــ عليه الصلاة والسلام ــ، رسالة ماجستير للباحث: محمد الرحيلي، بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، وقد تناول المبادئ التربوية الآتية في رسالته: الإيمان، سلامة الفطرة، الابتلاء، الصبر، الشكر، الثقة بالله، الصدق، العفة. وقد فاته الكثير مِن المبادئ التربوية الواردة في هذه الدراسة.

(ب) القيم الأخلاقية المحمودة والقيم المذمومة في سورة يوسف ــ عليه السلام ــ، بحث لفضيلة الدكتور محمد الخطيب، وقد تناول صفات: النصيحة والأمانة والصبر والصدق والعفة وقول الحق والتسامح والاستغفار والاستعانة بالله تعالى، وتناول الصفات المذمومة: البغضاء والحسد والكذب والكيد والاحتيال، وقد فات الباحث العديد مِن الصفات التي تناولتها هذه الدراسة.

لقد فات هذه الدراسات أكثر مِن اثنتين وعشرين صفة، تناولتها هذه الدراسة بالبيان لأهميتها.

أهمية الدراسة :

- بيان الصفات السلبية التي تُعيق بناء وصلاح الشخصية.
- بيان الصفات الإيجابية التي تُشكِّل وتبني الشخصية القوية.
- بيان جوانب القوة والتميز في شخصية يعقوب عليه السلام.
- بيان جوانب القوة والتميز في شخصية يوسف عليه السلام.

منهج البحث :

المنهج الاستقرائي: قام الباحث باستقراء آيات سورة يوسف، وتبويب المعالم التربوية الواردة فيها.

المنهج التحليلي: قام الباحث بتحليل الآيات الواردة في التربية، واستنباط الدلالات التربوية فيها.

خطة البحث : جاءت خطة البحث كالتالي:

المبحث الأول: المهارات التربوية السلبية، وفيه مطالب عدة.

المبحث الثاني: المهارات التربوية مع الله تعالى، وفيه مطالب عدة.

المبحث الثالث: المهارات التربوية مع النَّفْس، وفيه مطالب عدة.

المبحث الرابع: المهارات التربوية القلبية، وفيه مطالب عدة.

المبحث الخامس: المهارات التربوية القيادية، وفيه مطالب عدة.

المبحث السادس: المهارات التربوية مع الآخَرين، وفيه مطالب عدة.

الخاتمة:

سائلاً ربي ومولاي التوفيق والسَّدَاد

المبحث الأول: المهارات التربوية السلبية

المطلب الأول: الكذب

الكذب أساس النفاق، وسُوء الأخلاق، والبُعد عن المكارم، والوقوع في المحارم. قال الله تعالى: ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: 18].

« حكاية أنّ الذئبَ أَكَلَه، فهي مُلَفَّقة ومَكشوفة، ودالَّة على تَسرُّعهم، إذْ لم يَتسنَّ لهم الوقت الكافي؛ لِيختلقوا حكاية أُخرى، غير التي أَخَذُوها جاهزة، مِن فَمِ أَبيهم ».[1] فمهما كان الكاذب حاذِقاً سيظهر كذبه ولو بعد حِين.

وقد وصِفَ الدم بالكَذِب، للمبالغة في كبير كذِبهم وافترائهم[2]، وزاد بيان كذبهم بقول أبيهم:«تصفون» يعني: أنكم لا تقولون الحقيقة، بل تصفون شيئاً لا يصادف الواقع »[3].

المطلب الثاني: الحسد

هو: « البغض والكراهة لما يراه مِن حُسْنِ حال المحسود »[4].

لقد « بَرَزَ البُعد النفسي بشكل قوي في رسم شخصية إخوة يوسف، فالحسد والغيرة هما الدافع الرئيس لتفجير أحداث القصة وتطوراتها على مدار سنوات العمر التي تحكيها القصة »[5].

وقوله تعالى: ﴿أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا﴾ [يوسف: 8]. « تركيبٌ بالغ الجمال، فائق الحُسن، وهو تعليق ألفاظ على بعض، فيها مِن الانسيابية والموسيقى الداخلية ما يَجعل حروف الجر ذات طعم مميز. إنّ حروف الجر في اللغة العربية ما كانت لتكون بأحسن مِن مِثل هذا السياق، وهذا التعبير، وهذه التحولات في المواقف والعواطف، وتقديم: (إِلَى أَبِينَا)، على: (مِنَّا) واضح التركيز على ما يُعلقه الأخوة على حُبِّ أبيهم مِن أهمية، وأنه؛ أي: الأب مركز هذا الثقل والتجاذب »[6].

---

1 البُعد التصويري في القرآن الكريم سورة يوسف نَمُوذجاً، (ص 154).

2 ينظر: الكشاف، (2 / 451).

3 التفسير، (11 / 6893).

4 مجموع الفتاوى، (10 / 111).

5 بناء السَّرْد القصصي في سورة يوسف، (ص 48).

6 في التذوق الجمالي لسورة يوسف، (ص 62).

المطلب الثالث: الخيانة

الخيانة هي: عدم قيام الشخص برعاية ما اوتــــمـــن عليه. يقول الله تعالى: ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ ﴾ [يوسف: 11]

لقد مارس الأبناء مع أبيهم الخداع بإعطاء الوعود الكاذبة بقولهم: (وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ) و (وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)؛ ليطمئنّ حينما يذهب يوسف عليه السلام معهم ، ولكن الخيانة كانت مُبيَّتة، فهي لا تصدر إلا من نفْسٍ فيها السُّوء، فهذه خيانة حفظ النَّفْس، والخيانة الأُخرى التي لا تقل خَطَراً عنها خيانة فِرَاش الزوجية: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [يوسف: 23]، «هي امرأة ضعيفة أمام سلطان الحب، مُستجيبة لغرائزها، مُشتعلة الشهوة، وفي لحظة اندفاعها غير مُبالية بأيّ شيء»[1]. فالهوى إذا دَخَل إلى قلب المرأة استمكن منها، وأَسَرها في شِباكه المــُحرمَة.

المطلب الرابع: التقليد الأعمى

التقليد هو: اتباعُ الآخرين بلا دليلٍ صحيح.

ما أَسْوَءَ أن تكون شخصية المرء تابعة للآخرين بلا عقل ولا تفكير، مُنقادة معهم بلا وعي ولا تدبّر، والتقليد الأعمى هو سجن العقل في أوحال التبعية للآخرين، وطمس القلب في ظلمات الجهل والانقياد غير المنضبط. قال الله تعالى: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: 40]

فالتقليد الأعمى يُلغي التفكير، ويُعمي البصيرة، ويُضْعِف الشخصية، يُقرِّب من الشيطان، ويُبعِد عن الرحمن، يَجعل الإنسان في الدنيا للآخرين أَسيراً، وفي الآخرة حَسِيْراً.

المطلب الخامس: ضعف الغَيْرَة

الغيرة صفة النبلاء، وعنوان الكُرماء، وتاج الرجولة، وقوة الأصالة، وإذا ضعفت في النفس فقد فسدت، وبالدنايا تَعلَّقت، ومن الفحشاء اقتربت، وبسُوء الظنِّ اتُّهمَت. قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي

1 البُعد التصويري في القرآن الكريم سورة يوسف نَمُوذجاً، (ص 132).

لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ [يوسف: 28-29]

يَعكس هذا التصوير على قلة الغيرة عند عزيز مصر، وأنّه لا يمتلك رجولة قوية، فالغيرة حين تَضعف في النَّفس يُصبح الشخص يرى المنكر في أهل البيت بقلة اهتمام واندفاع لإزالة جُذوره.

المبحث الثاني: المهارات التربوية مع الله تعالى

المطلب الأول: الصدق

الصدق هو أساس الأخلاق، وعلامة الإيمان، وعلامة الإحسان، والقُرْب من الرحمن، والسبيل إلى الجنان، فبزيادته في شخصية الفرد، تزداد معالي الأخلاق لديه، وبنقصانه تَنْقُص.

يقول الله تعالى: ﴿قَالَ هِيَ رَاوَدْتُنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾. [يوسف:26-28].

فلعظيم صِدْق يوسف يسَّر الله تعالى له مَن يَنطِق ببراءته ويشهد بصِدْقه. ثم أظهر الله براءته وصدقه بشهادة مَن اتهمته بالخيانة، «والتعبير عن حالها صدقاً وكَذباً بالجملة الفعلية (فَصَدَقَتْ، فَكَذَبَتْ، صدقتْ، كَذَبَتْ) ، وعن حاله بالجملة الاسمية، (وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ، وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ) فيه إشعار بأنه أريد أنّ أوصافها كانت عارضة في الصدق والكذب، بينما أوصافه هو كانت مُتأصِّلَة صِدْقاً أو كَذِباً»[1].

يقول الله تعالى: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [يوسف: 51]. وإذا صار الصدق علامة الشخص قولاً وفعلاً صار صِدِّيقاً، قال الله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾ [يوسف: 46]

المطلب الثاني: الإخلاص

الإخلاص هو: أنْ يَقصد المسلم بعبادته رضى الله وحدَه. قال تعالى:﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: 24]

فالإخلاص سر العبودية وقلبها النابض، به يَصفو العمل من الشرك، وتزكو النفس وتَسعد الروح، ويسير العبد إلى الله تعالى بطمأنينة وراحة، ويَجد لذة وسعادة، وتسمو نفسه للمعالي، وتُكسى لباس العبودية لله تعالى وحده.

1 جمالية النظم القرآني في قصة المُرَاوَدة في سورة يوسف، (ص 53).

المطلب الثالث: صفاء التوحيد

إنّ «صحةَ الإيمان تُوجبُ قوّةَ القلب، والثقة بالله تعالى، وقلة المبالاة بأعدائه»[1]. قال الله تعالى: ﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: 39-40]

مَن صفا توحيده أشرقت نفسه، وتألّقت روحه، وانشرح صدره بالإيمان، وازداد خيره، وقلَّ شره، وسعدت حياته، ونَمت أعماله الصالحة، وبَعُد عن كل شوائب الشرك وألوانه، ودعا الآخرين لروضة التوحيد؛ لتزكو نفوسهم كما زَكت نفسه .

«في ندوة عقدت في إسرائيل في تاريخ 1980/12/19م حضرها كل من رئيس وزراء مصر الأسبق الدكتور مصطفى خليل وبطرس غالي وزير الدولة للشؤون الخارجية المصرية، وعدد من الأساتذة الإسرائيليين المتخصصين في الشؤون السياسية والعربية في هذه الندوة ، قال د. خليل للإسرائيليين المجتمعين معه: أَودُّ أنْ أُطَمئنكم أننا في مصر نُفرِّق بين الدين والقومية، ولا نقبل أبداً أن تكون قيادتنا السياسية مُرْتَكزة إلى مُعتقداتنا الدينية. وما أَنهى مصطفى خليل كلامه، حتى وقف البرفسور دافيرديرد عليه قائلاً: إنكم أيها المصريون أحرارٌ في أنْ تَفْصِلُوا بين الدِّين والسياسة، ولكن أُحبُّ أنْ أقولَ لكم: إنَّنا في إسرائيل نرفض أنْ نقول: إنّ اليهودية مجرد دين فقط، بل نؤكد لكم أنّ اليهودية هي دين وشعب ووطن»[2].

المطلب الرابع: الاستعانة بالله تعالى

هي أساس التوكل على الله، وينبوع الصبر، فكلما قويت استعانة العبد بالله تعالى قوي توكله، وزاد صبره، إنّ «صلاح القلب وسعادته وفلاحه في عبادة الله تعالى والاستعانة به، وهلاكه وشقاؤه وضرره العاجل والآجل في عبادة المخلوق والاستعانة به»[3].

يقول الله تعالى: ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: 18]

1 السراج المنير ، (1 / 249).
2 الإسلام والعَلمانية وجهاً لوجه ، (ص 196).
3 إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ، (40/1ــ 41).

لقد جعل يعقوب ــ عليه السلام ــ ملاذه ووِجْهَته في تفريج كربه هو الله تعالى، وهذه قوة الإيمان القلبية، التي تظهر حقيقتها عند المِحن.

المطلب الخامس: الدعاء

الدعاء من علامة الموحدين الراجين لرحمة الله تعالى بتفريج كربهم، وإزالة همّهم، وكشف بلائهم، فهو ترياق لأوجاعهم، وبلسم لجراحهم، وطمأنينة لقلوبهم. و« إذا أراد الله تعالى بعبده خيراً فتح له من أبواب التوبة والندم والانكسار والذل والافتقار، والاستعانة به وصدق اللجوء إليه، ودوام التضرع والدعاء»[1] .

وفوائد الدعاء: أنه باب الأتقياء، ورافع للبلاء، ويزيد بالله الرجاء، ويَشحن النفس ارتقاء.

والدعاء في حالة الاضطرار تجلى في حياة العبد الصالح، فهذا يوسف ــ عليه السلام ــ يلجأ إلى ربه تعالى لتفريج كربه، يقول الله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يوسف: 33] ، وإنّ « حذف حرف النداء في نداء الرب عز وجل، الذي يُوحي بالقُرْب الشُّعُوري بين يوسف وربه، وحذف الياء في لفظ (رب) للتخفيف والتلهف على تحقيق المدعو به، ولتوفر العناية إلى ما بعده»[2].

وحلاوة الدعاء للرب تعالى تستمر؛ لأنها بلسم للقلب المكلوم المجروح، ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف:86]، وأتى بالفعل المضارع: (أَشْكُو)؛ لبيان استمراريته مع طول الأيام، ولا يستمر به العبد إلا لحلاوته على قلبه، ولقوة رجائه بربِّه تعالى لتفريج كربه.

يقول الله تعالى: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: 101]. « فقدَّم يوسف الثناء بنِعَم الله تعالى على الدعاء، وهذا من الأدب النبوي الذي يَمنحه الله تعالى عبادَه المُصطَفين الأخيار »[3].

---

1 الوابل الصيب من الكَلِم الطيِّب ، (ص 6).

2 ينظر: النظم القرآني في سورة يوسف ، (ص 78 ــ 79).

3 المرجع السابق ، (ص 74).

فالأنبياء ذوو أدبٍ جَمٍّ، في ندائهم ودعائهم لربهم جلَّ وعلا، يختارون أطيب الألفاظ، وأحسن العبارات في مناجاتهم لربهم جلَّ وعلا.

المطلب السادس: الشكر

الشكر بريد الإيمان، يَنبع من قلب يَعرف لصاحب الإحسان إحسانه، ولصاحب الفضل فَضله، فيبادر لفعله بلا تردد ولا توان. قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [يوسف: 6]

إنّ تربية الأبناء على معرفة صاحب الفضل والنِّعمة، يَجعل المرء يتعلَّق بربه ومولاه، ويُقوِّي جانب التوكل على ربه تعالى من نُعُومة أظفاره، فيعقوب ــ عليه السلام ــ يَغرس في ابنه الحبيب يوسف عليه السلام أنّ صاحبَ الفضل فيما ستصير إليه هو الله ــ جلَّ جَلاله ــ، صاحب المنَّة والعطاء، كما كان هو صاحب الفضل على آبائك في اصطفائهم بالنبوة.

وقد أثمرت هذه التربية النبوية في نفس يوسف ــ عليه السلام ــ في أَحلَك المواقف التي تعرض لها، يقول الله تعالى: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [يوسف: 23]

فالكريم بن الكريم بن الكريم لن يكون إلا كريماً مع الآخرين، خاصة مع مَن أَحسن معه، سواء كان المراد بقوله: (رَبِّي) هو الخالق جلَّ جَلاله، أو كان المراد سيده الذي ربَّاه في بيته وأَحسن إليه غاية الإحسان .

«وشكر العبد يدور على ثلاثة أركان لا يكون شكوراً إلا بمجموعها، أحدها: اعترافه بنعمة الله عليه، والثاني: الثناءُ عليه بها، والثالث: الاستعانةُ بها على مرضاته»[1]

المطلب السابع: قوة الإيمان (التقوى)

التقوى هي: «فعلُ ما أَمَرَ اللهُ به، وتَرْكُ ما نَهى اللهُ عنه»[2]. قال الله تعالى: ﴿وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يوسف: 57]

1 عدة الصابرين ، (ص 148) ، وينظر : مدارج السالكين ، (2 / 234).

2 مجموع الفتاوى ، (3 / 416).

« وتتجلَّى البلاغة القرآنية في جملة: (آمنوا)؛ إذ عَبَّرَ عنها بالإيمان؛ لأنَ الإيمان يَحصل دُفعةً واحدة، على حين جاءت جملة التقوى بالمضارع؛ لأنه يَتجدد بتجدد الأحوال، ويَحتاج إلى الدوام والاستمرار »[1].

قال تعالى: ﴿قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: 90]

عند التقوى الأخلاق تتجلى، ويصير العبد متميزاً في سلوكه مع ربه ــ جلَّ وعلا ــ ومع الآخرين؛ لأنّ التقوى تجعله يَحرص على مراقبة الله تعالى في قوله وفعله، وسِرّه وعلانيته، وحينئذ سيتألَّق ويُبدع في سلوكه.

المطلب الثامن: التوبة

التوبة هي: الرجوع من السيئات إلى الحسنات [2]. التوبة طهارةٌ للقلب، ورضىً للرب تعالى، ونورٌ للعبد على الدرب، وسببٌ لتفريج الكرب، وتسهيلُ الصعب.

يقول الله تعالى: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [يوسف: 52-53]

لقد أعلنتها صريحة: « إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ، و لم تَقُلْ: إنّ نَفْسي أمارةٌ بالسوء، تعليلاً وتَبْريراً وتَخفيفاً لِخطئها، والتماساً للعفو والصَّفح من يوسف عليه السلام، على أساس أنّ كلّ الناس مُعرَّضون للخطأ، وهي واحدة منهم وليست معصومة »[3]

وجاءتْ رَوعة الختام بالاعتراف بالذَّنْب وطلب الاستغفار من الأب الحاني والنّبي الرحيم ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[يوسف: 97-98].

قال بعض السلف: « لو لَم تكن التوبةُ أحبَّ الأشياءِ إليه، لَمَا أَصابَ بالذَّنب أكرمَ الخَلْقِ عليه »[4].

---

1 النظم القرآني في سورة يوسف ، (ص 55).

2 الاستقامة ، (1/ 463) .

3 أساليب الإقناع في سورة يوسف ، (ص 247).

4 طريق الهجرتين، (ص 233)، ومفتاح دار السعادة، (1 / 286)، ومدارج السالكين، (1 / 306).

المبحث الثالث: المهارات التربوية مع النَّفْس

المطلب الأول: الفِرار مِن بيئة المنكر

لا يَمتحنُ العبدُ إيمانَه بالولُوج في بيئة المنكر، ولا تَستأنِسُ نفسُه بالبقاء في أجواء الفساد؛ لأنه لا يأمَن مَكرَ اللهِ تعالى، ففرار العبد مِن جو المنكر دليل الإيمان لا الاطمئنان، ودليل الاعتصام بالله تعالى بأخذ أسباب النجاة، وعدم الركون إلى حُسْن الخصال في الماضي، فيوسف عليه السلام بادر للفرار بعد الرفض الصارم والتذكير بالله تعالى، ولم يَسْترسل في الحوار؛ لأنّ النفس ليست مُتهيأة في جو الفساد للحوار والتفاعل الإيجابي فيه.

قال الله تعالى: ﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [يوسف: 25]

وقد حذِف حرف الجر: (إلى) في جملة: (واستبقا الباب)، ولم يقل: (واستبقا إلى الباب)؛ لبيان المبالغة في سُرعة المبادرة إلى الباب، فيوسف لم يتوانَ في هروبه مِن بيئة المنكر، ولم تتوانَ امرأة العزيز في طلبه للفاحشة [1].

وفي الآية بيان خطر الخلوة بالمرأة الأجنبية، يقول النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ: «لَا يَخْلُوَنَّ أَحَدُكُمْ بِامْرَأَةٍ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ ثَالِثُهُمَا»[2]. وقد قال عمر بن عبد العزيز ــ رحمه الله ــ لَمَيْمُون ــ رحمه الله ــ: «لا تَخْلُوَنَّ بامرأةٍ ، وإنْ أَقْرأْتَها القرآنَ»[3].

المطلب الثاني: الخَلوة عند المحنة (صناعة البيئة التربوية)

لابد للشخص لبناء شخصيته مِن بيئة تربوية يَخلو بها بِنفسه، يُراجع حِساباته مع الله تعالى، ومع نفسه والآخرين، ويُناجي ربّه بعيداً عن أَعين الناس، فيَزْكو بها قلبُه، ويزداد بها إيمانه.

وقد طلب يوسف ــ عليه السلام ــ السجن هروباً مِن الفاحشة، وللخلوة بربه تعالى بالمناجاة والذِّكْر والدعاء فقال الله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يوسف: 33]

---

1 النظم القرآني في سورة يوسف، (ص 79).

2 المسند، (1/ 269 رقم 114).

3 سراج الملوك ، (ص 119) .

ففي السجن يخلو الحبيب بحبيبه، فتزكو نفسه، ويَطهر قلبه مِن التعلُّق بالخلق، وتسمو روحه بكثرة ذِكْر حبيبه جلَّ وعلا، وباب لتحقيق الإخلاص، وتعظيم ربه ومولاه، ويبعد بصره وجوارحه عن مُقاربة المحرمات، فضلاً عن مُقارفتها وإتيانها، فالسجن روضة لمراجعة الإنسان مسيرته، والتخطيط لمستقبل أفضل، فيضيء الرجاء والتفاؤل في قلبه.

وما أجمل ما ترنَّمَ به شيخ الإسلام ابن تيمية: «ما يَصنعُ أعدائي بي؟ أنا جَنَّتي وبُستاني في صدري، إنْ رُحْتُ فهي معي لا تُفارقني، إنّ حَبْسي خَلْوَة، وقَتلي شهادة، وإخْراجي مِن بَلَدي سياحة» [1].

المطلب الثالث: مُحاسبة النَّفس (النقد الذاتي)

لا تكون محاسبة النفس إلا مِن قلبٍ يَقِظ، يرى بين عينيه الوقوف غداً بين يدي الله تعالى، وقد ظهرت محاسبة النفس في سورة يوسف ــ عليه السلام ــ في مواقف عدة، وهي:

1/ رفض الفاحشة بشدة: فلتقوى يوسف ــ عليه السلام ــ ومُراقبته لِمولاه، ولِعَرَاقة أصْله ونُبْل خُلُقه، وأنّه مِن بيت النبوة، ولأمانته لعزيز مصر الذي أكرمه في العيش في قصره، ولعنايته به كابنه، رفض طلب امرأة العزيز في مُقارفة الفاحشة، فلا يرفض ذلك إلا المراقب لِنظر الله تعالى إليه.

2/ اعتراف امرأة العزيز: مهما أخفى المرء سوء فعله واهتمامه الشر لغيره، فستأتي لحظه يَسطع فيها نور الحقيقة، وتظهر العدالة للمظلوم، ولو بعد حين. فها هي الحقيقة تَظهر وتُدوِّي ببراءة يوسف ــ عليه السلام ــ: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ [يوسف: 51-52]

فمن كانت بالأمس تتكلم بعنفوان وتطلب الرذيلة بجرأة، تتكلم اليوم بانكسار وذل بين يدي مَلِك مصر، وتعترف بسوء فعلها، وببراءة العفيف الشريف يوسف عليه السلام. وهي لحظة صِدْق تَقِفها مع نفسها، وتُسجل الحقيقة بلسانها.

3/ التقويم البنائي[2]: تقويم الشخص لسلوكه، وبيان نقاط ضعفه وقوته، يُكسبه مهارات

1 الوابل الصيِّب مِن الكَلِم الطيِّب ، (ص 48).

2 ينظر : أساليب التدريس والتقويم والقيم الأخلاقية في سورة يوسف ، (ص 159).

لتطوير شخصيته، وأدائه ، على المستوى الفردي أو الجماعي، فيحصل بذلك التميز والإبداع والتألُّق والتطوير.

«لقد أَظهرت سورة يوسف ــ عليه السلام ــ مواقف يَبرُز فيها التقويم الذاتي البنائي. حيث ذَكَرَ يوسف ــ عليه السلام ــ بعض الجوانب الإيجابية في حياته؛ ليتيح لغيره فرصة الإفادة منه ما أمكن.

(أ) فنجده في السجن يُخبِرُ الفَتيين بقدرته على معرفة أنواع الطعام، وهذا يُعَدُّ نشاطاً كان يُمارسه في السجن، ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا﴾ [يوسف: 37]، وهذا يدفعهم للثقة به وبما يقوله، فيصل إلى قلوبهم لإيصال دعوة التوحيد الصافية لهم.

(ب) يقول عن نفسه بعدما التقى المَلِك: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: 55]، وهو من باب تطوير الدولة ورعاية شؤونها، بعدما كشف لهم ــ في تأويله لرؤيا الملك ــ تلك السنوات القادمة من اليسر والعُسْر على البلاد والعباد، وهي تحتاج لقائد يُحسن إدارة المرحلة الصعبة لا ليزيدها صعوبة على الناس.

(ج) قيام يوسف ــ عليه السلام ــ بتعريف الشؤون الاقتصادية لمصر، وقد جاء إخوته يطلبون الطعام في زمن القحط والشدة، ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ [يوسف: 59]

(د) يوسف ــ عليه السلام ــ يُدْرك ما تمر به بلاده وما حولها من أزمة اقتصادية، وأنه أحسن لهم غاية الإحسان بإكرامهم بطعام كافٍ لهم ولأهلهم، فهي رعاية خاصة حَفَّهم بها»[1].

المطلب الرابع: بناء القدوة

المربي الناجح هو مَن يُحدِّد للمتربي قُدوة يَستضيء بها في بناء شخصيته وتطوير ذاته، ويكتسب معالي الأخلاق منها، ويَجني منها ثمرات الخير والهداية في دروبه. وهذا ما غرسه النبي المربي يعقوب ــ عليه السلام ــ مع ابنه يوسف ــ عليه السلام ــ، فقال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [يوسف:6]

1 أساليب التدريس والتقويم والقيم الأخلاقية في سورة يوسف ، (ص 159).

إنّ النَّفْسَ إذا غُرِسَ فيها نماذج تربوية سامقة تعلَّقت بتلك القدوات، فأَحبتها وتسامت للاقتداء بها، وتحفزَّت لِلَحاق بسموها وتميزها، وصارت أُنموذجاً ونِبراساً للسير على طريقها في ميادين الخير والإحسان، فهي تبعث رُوح الأمل رغم الصعاب، وتُقوِّي عزيمة القلب في حالِك الظلمات.

المطلب الخامس: الحرص على حُسْن السُّمْعة

نقاء السيرة وحُسْن السريرة والحرص على صفاء السمعة بين الناس، وعدم السماح بتشويه شخصيته بزيف الكذب والبُهتان، وأنْ تُلَاكَ سيرته وسمعته بالكذب على كل لسان، فالسمعة السيئة تهز كيان الإنسان، وتُذْهب أَلَقَها وجمال أخلاقها من نُفوس الناس، وتُضْعف رصيدَه الأخلاقي النَّظيف، وتُقلِّل من أمانته في عيون الناس وتأثيره فيهم. يقول تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: 50]

لقد كان يوسف عليه السلام من الذكاء والحصافة بمكان عالٍ، فقد رفض خروجه من السجن مع فتح الباب له بأمر الملك، لكنه أَبى حتى تظهر براءته، وتعلو عفته وطهارته أمام الجميع، فنقاء سمعته أهم من الخروج من السجن على مرارته وأَلمه، ولكن ظُهور براءته أحسن إليه. فكيف سيخالط الناس ويعلو منصب الوزارة، وهو متهم أمام الناس في عفته، كيف سيلقى الاحترام والتقدير وتكون له كلمة نافذة، وعيون الناس قبل ألسنتهم تطعن فيه.

المطلب السادس: ترك التعالُم

ما أكثر الذين يَتهافتون للفتوى والبيان في علوم شَتى، لا يُحسن أن يقول إذا سُئل: لا أعلم! إن الشخصية الحكيمة الواعية تقف عند قدراتها عند استشارتها وسُؤالها، وتُبادر لتطوير علمها وإمكانياتها، وتُحيل وتلجأ إلى مَن هو أعلم منها، فهنا يحصل تطوير الذات، وتقدم المجتمع. قال الله تعالى: ﴿قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ﴾ [يوسف: 44]

لقد كانوا متميزين حينما أعلنوا أمام السلطة العليا في الدولة أنهم لا يَعلَمون تأويل الرؤى، وهو عِلْمٌ شريف وصاحبه مميَّز، ومع ذلك لَمْ يُعاتبْهم الملك، وهذا من رجاحة عقله، فالناس قُدرات ومواهب متنوعة. وما أحسن ما قال مالك بن أنس ــ رحمه الله ــ: « جُنَّةُ العالِم: لا أَدْري، فإذا أَغْفلَها أُصيبتْ مَقاتلُه ».[1]

1 سير أعلام النبلاء ، (8 / 77).

ومِن جميل التطبيق العملي لترك التعالم ما جاء رجلٌ للقاسم بن محمد فسَأَلَهُ عن شيءٍ فقال القاسم ــ رحمه الله ــ: «لا أُحْسِنُه، فَجَعلَ الرجلُ يقولُ: إنّي دُفِعْتُ إليكَ لا أَعرفُ غيرَكَ، فقال القاسم: لا تَنْظُر إلى طُول لِحيتي، وكثرة النَّاس حَوْلِي، واللهِ لا أُحْسِنُه، فقال شيخٌ مِن قريش ــ جالسٌ إلى جَنْبه ــ: يا ابنَ أَخي، الزَمْهَا، فواللهِ ما رأيتُ في مجلسِ أبيكَ مثلَ اليوم، فقال القاسم: واللهِ لَئِن يُقْطَعُ لِساني أَحَبُّ إليَّ مِن أنْ أَتكلمُ بِمَا لا أَعلم» (1).

المطلب السابع: تربية المسؤولية في الشخصية

المربي الناجح هو مَن يَغرس في نفس الناشئة تحمل المسؤولية، ويشحن فيه التسامي للمعالي والرقي لكريم الأخلاق، فذلك سيدفعها للنشاط والمثابرة، وتحدي الصعاب التي ستمر بها. قال الله تعالى: ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [يوسف: 6]

فبناء تقدير الذات في الشخصية، ثم الثقة بالنفس، حينها ستكون النفس مؤهلة لتحمل المسؤولية، فتوجيه الأبناء إلى أنّ إحسانهم في علاقتهم مع الله تعالى وإحسانهم في علاقتهم مع الخَلْق، سينعكس ذلك على مَن حوله مِن أهل بيته، ويولّد في نفس الشخص مسؤولية أخلاقية لضبط سُلوكه وإتقان عمله، وستُعزِّز المراقبة الداخلية في نَفْسه.

المطلب الثامن: عِزَّة الإيمان

إنّ خيرَ ما يَعتز به الشخص هو إيمانه بالتوحيد الخالص لله تعالى، وسيره في دربه إليه على نور وبصيرة، وبعده عن نجس الشرك وطرائقه. وهذا ما أعلنه يوسف ــ عليه السلام ــ بكل اعتزاز وشموخ. قال تعالى: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [يوسف: 37-38]

إنه حديثٌ ممتلِيءٌ عزةً وإيماناً، حُبّاً وتعظيماً، إنه يَنثر دُرَراً مُفعماً بصدق الانتماء لِمَا يَعتقده، إنّه ينطلق بهذه الانسيابية الدعوية، والكلمات الربانية، والهداية الإيمانية؛ لأن الإيمان يعيش في قلبه بصدق، فيُشْرِق نوراً للآخرين بحُبٍّ، فكلما عاش العبد الإيمان بصدق وحب وانتماء أعزه الله تعالى ورفعه، وأعطاه وأسعده، وفَرَّجَ كَرْبه وأَزال حَزَنَه.

1 بدائع الفوائد ، (3 / 276) .

المبحث الرابع: المهارات التربوية القلبية

المطلب الأول: الحكمة

الحكمة هي: القدرة على تمييز الخطأ من الصواب، وتفعيل ذلك في الواقع بمهارة.

إن من حكمة الداعية إلى الله تعالى أن يُحسن ترتيب الأولويات، وتقديم الأهم على المهم، ومخاطبة المدعوين حسب حاجاتهم. يقول الله تعالى: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف: 39]

« بدأ بالأهم فالأهم، وذلك من التلطّف في الخطاب؛ لأنه لو طالبهم بالجميع في أول مرة، لم يأْمَنْ النُّفرة ».[1]. وهي لباقة فريدة، وحكمة عتيدة، وحنكة بديعة، فبناء التوحيد في القلوب، وإزالة الشركيات بكل صُنوفها من قلوب الخَلْق، هي القضية الأساس، وبها يَقوى ويَعْمُر القلب بالإيمان، ويَذوق حلاوة الإيمان، ويَشعر بالطمأنينة والسعادة، ويَنطلق في الحياة بخُطى ثابتة، وقاعدة صلبة متينة.

المطلب الثاني: الشجاعة

الشجَاعَة هِيَ: قوة القلب وثباته عند قول الحق.

إنّ الشجاعة صفة نبيلة، تُحفِّز المرء لقول الحق والصَّدْع به، من غير مُوارَبة ــ مُخَادَعة ــ، وخاصة حينما يكون قول الحق في المواقف المصيرية الصعبة التي يَنبني عليها مصير شخصٍ في براءة أو حياة. وقد تجلَّى ذلك في موقف هروب يوسف ــ عليه السلام ــ من مُراودة امرأة العزيز له، يقول الله تعالى في بيان ذلك الموقف: ﴿قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ [يوسف: 26-28]

فالشاهد هنا قال كلمة الحق بلباقة ومهارة فائقة، فبدأ بافتراض تبرئة امرأة العزيز، ثم بافتراض تبرئة يوسف ــ عليه السلام ــ. « إنه شاهد عَدْلٍ نبيه فَطِن، يَسْتدلُّ بالمنطق وبالواقع المادي، فيعيد ترتيب الأحداث، ويستدل على المقدمات بالنتائج، وهو المتأدِّب في كلامه، إذْ قَدَّم افتراض براءة امرأة العزيز على افتراض براءة يوسف ــ عليه السلام ــ، وهو ما يَقتضيه المقام، إذْ

1 فتح الباري شرح صحيح البخاري ، (3 / 359).

هي السيدة ويوسف الفتى، ثم إنّه مِن أَهلها؛ أيْ: يَنتسب إليها، وأكيد أنّه كان يَتمنّى أنْ تكون صادقة، لكن هذه القرابة لم تَمنعه مِن شهادة الحق دون أنْ يَهتم للمنتصر مَن يكون »[1].

المطلب الثالث: العفة

العفة هي: بُعْدُ النَّفْس عن فِعل ما يُسيءُ لشخصية الإنسان.

إنّ العفة خُلُقٌ نبيل، تَصدر مِن الشخص الأصيل الذي يَترفَّع عن الدنايا وتحقيق الرزايا؛ لأنه يَصون نَفْسه عن أنْ تتلوث بسوء القول أو الفِعل.

وها هي الآيات الكريمة ترسم العفة بأَبهى حُلَة، وتَنشُرها بأَطيب عِطر فَوَّاح، في موقف يوسف ــ عليه السلام ــ مِن مُراودة امرأة العزيز له: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: 24]. و« السوء السبب المؤدي إلى الفحشاء، والفحشاء: السبب المؤدي إلى سخط الله تعالى »[2].

إنه امتحان النبلاء في مواقف الرجولة والإباء، فكل دوافع مُقارفة جريمة الفاحشة توافرت، فهو شابٌّ وقويٌّ، ودافع الشهوة كامِن فيه، وهو غريبٌ، وفي غرفة مُحكمة الإغلاق، والمرأة ذات مَنصِب وجمال، مَنْصِب يَحميه مِن العقوبة لو كُشفت جريمته، وجميلة ازدادت جَمالاً بتهيئة نَفسها له، وهي الداعية للفاحشة، ولكن نَفْس يوسف ــ عليه السلام ــ الطاهرة الزكية رفضت ذلك بشدة، فالعفة لا تباع في سوق الفاحشة. إنه لم يَبحث لنفسه عن رخصة في ممارسة الحرام، كقوله لنفسه: إنه ضعيف أمام سلطة الدولة، ولا يَمْلك حريته، وهذه أول وآخِر مرّة، لكنها العفة النقية الطاهرة في أَبْهى صُوَرِها وأَسمى معانيها.

المطلب الرابع: الورع

لقد كان يوسف الكريم بن الكريم بن الكريم عفيفاً عن الخَنَا، بعيداً عن الردى، وَرِعاً عن الكلام الذي لا يليق، أو يَجرح مشاعر الآخرين، إنه سمو في النفس، وصِدق في التعامل، ﴿قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي﴾ [يوسف: 26] لقد كان وَرِعاً عن أن يقول: (زوجتك راودتني) لكنه أَتى بضمير الغائب؛ لأن لسانه عن السُّوء غائب.

---

1 البُعد التصويري في القرآن الكريم سورة يوسف نَمُوذجاً، (ص 133).

2 زَهْرُ الكِمَام في قصة يوسف عليه السلام ، (ص 102).

قال تعالى: ﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: 77]، لقد تورع أن يُسْمِعَهم كلمةً تؤذي مشاعرهم، وهي كلمة صادقة، فهم الذين سرقوه من حنان أبيه، وفي مهاوي الرَّدى ألقوه، لكنها التربية الراقية والنَّفْس العالية.

المطلب الخامس: العاطفة

الشخصية الناضجة المتكاملة يجب أن تكون فيها عاطفة الحب والحنان؛ لأن من العاطفة ستنبع الرحمة والشفقة والتواضع والإحسان للخَلْق.

لقد ظهرت هذه العاطفة في شخصية يعقوب ــ عليه السلام ــ، يقول الله تعالى: ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: 84-86]. والبث: أشدّ الحزن، أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ؛ «أي: أعلم من لطفه ورأفته ورحمته ما يُوجب حُسْن ظنّي به، وقوة رجائي فيه»[1].

فمشاعر الحب والحنان علامة النضج والتكامل في الشخصية المتوازنة، ولذلك يُلاحظ قوة هذه المشاعر عند يعقوب ــ عليه السلام ــ، فنرى أنه لم يُعَنِّف أبناءه ولم يَهجرهم رغم سُوء فِعالِهم.

المطلب السادس: التفاؤل

التفاؤل: هو نظرة الشخص للأمور بإيجابية.

إنّ التفاؤل يجعل المرء ينظر للحياة رغم صُعوباتها ومِحنها بنظرة الأمل بالفَرَج، وتوقع اليسر بعد اليسر، والسراء بعد الضراء. وها هو يعقوب ــ عليه السلام ــ يُجَسِّد ذلك في محنته العظيمة أحسن تجسيد، فيقول الله تعالى في بيان موقفه من عظيم مُصابه وأَلمه: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف: 83].

إنه درس عملي ينغرس في نفس المؤمن وهو يَرَى رغم عظيم بلاء يعقوب ــ عليه السلام ــ، فهو يرجو من ربه ومولاه فَرَجاً وتغييراً للحزن والألم العظيم الذي يعيشه، فلا يُحيط به اليأس

1 التسهيل لعلوم التنزيل. (3/ 174).

والقنوط، بل هو يحيط بها برجاء الفَرَج والغد المــُشرِق؛ لأنّ قلبه امتلأ بقناديل التفاؤول وحُسن الظن بربه تعالى.

«وسر التَّوَكُّل وَحَقِيقَته هُوَ: اعْتِمَاد الْقلب على الله وَحده، فَلَا يضرّهُ مُبَاشرَة الْأَسْبَاب، مَعَ خُلُو الْقلبِ مِن الِاعْتِمَاد عَلَيْهَا، والركون إِلَيْهَا، كَمَا لَا يَنْفَعهُ قَوْله: توكلت على الله مَعَ اعْتِمَاده على غَيره وركونه إِلَيْهِ وثقته بِهِ، فتوكل اللِّسَان شَيْء وتوكل الْقلب شَيْء»[1].

وتجلّى التفاؤل عند يعقوب ــ عليه السلام ــ بعد سنين من الألم والحزن والمعاناة والبُعد عن يوسف ــ عليه السلام ــ، فيقول الله تعالى عنه: ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: 87]. فلم يَتسرب اليأس إلى نَفْسه، و لم يَطرُق قلبه إلا حُسن الظن بمولاه جلَّ وعلا، فلم يزدد رغم تلك السنين الماضية إلا تَشوّقاً لغدٍ مُشرِق يلتقي فيه بيوسف وأخيه.

1 الفوائد. (ص 87).

المبحث الخامس: المهارات التربوية القيادية

المطلب الأول: الذكاء التّنَبُّوئي (ذكاء الفِراسة)

الفراسة هي: «الاستدلال بالأمور الظاهرة على الأمور الخفية»[1].

1/ فراسة عزيز مصر: لقد توسَّم عزيز مصر في يوسف ــ عليه السلام ــ الخير والنجابة، فقرَّبه منه، وأمر امرأته بإكرامه، لعله يكون فيه نفعٌ لهما. قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف:21].

وفعلاً كان نفعاً لهما بأنْ صان عرض عزيز مصر، ولَم يَنشر خَبَر زوجته في المراودة، وعفا عنها حينما اعترفت بمراودتها له أمام الملك، و لم يُعاقبها بعد تسلّم الوزارة الاقتصادية في البلاد. و«أَمْرُ العزيز يُمْكِنُ أنْ يُجعلَ فِراسة؛ لأنّه لم يكن معه علامة ظاهرة»[2].

وقد سطر ذلك الصحابي الجليل عَبْد اللَّه بن مسعود ــ رضي الله عنه ــ فقال: «أَفْرَسُ النَّاسِ ثَلَاثَةٌ: أَبُو بَكْرٍ حِينَ تَفَرَّسَ فِي عُمَرَ فَاسْتَخْلَفَهُ، وَالَّتِي قَالَتْ: {اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ} [القصص: 26]، وَالْعَزِيزُ حِينَ قَالَ لِامْرَأَتِهِ: {أَكْرِمِي مَثْوَاهُ} [يوسف: 21]»[3].

2/ فراسة مَلِك مصر: حين عَلِم ملك مصر بتأويل الرؤيا من قِبَل يوسف ــ عليه السلام ــ، وظهور براءته وأنه عفيف العرض، أمين على عِرض سيده مع شدة الطلب من زوجته وتهديده بالسجن والعذاب الأليم، وإصراره على العفة. أدرك الملك بفراسته أنّ هذا الشاب يَمتلك من المؤهلات القيادية، والأمانة الشخصية، ما يَجعله أهلاً ليكون قريباً من صانع القرار في البلاد ــ وهو الملك ــ، بل جدير بأنْ يكون أميناً على خزائن البلاد. يقول الله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ [يوسف: 54]

وفعلاً صدقت فراسة الملك بيوسف ــ عليه السلام ــ، فقاد البلاد والعباد إلى الخير والريادة.

---

1 كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم. (2 / 1265).

2 أحكام القرآن لابن العربي. (ج 3 / 45).

3 المصنَّف لابن أبي شيبة. (ج 7 / 434 رقم 37058).

المطلب الثاني: الذكاء والكيد

الكيد هو: «إيصال الشيء إلى الغير بطريق خفي»[1]، وهو نوعان: قبيح وهو إيصال ذلك لمن لا يستحقه، وحسن وهو إيصاله إلى مستحقه عقوبة له؛ فالأول مذموم، والثاني ممدوح، والرب تعالى إنما يفعل من ذلك ما يحمد عليه عدلاً منه وحكمة، وهو تعالى يأخذ الظالم والفاجر من حيث لا يحتسب لا كما يفعل الظلمة بعباده[2].

وقد جاء الكيد في سورة يوسف ــ عليه السلام ــ بصورٍ عدة، ومنها:

كيد يوسف عليه السلام لأَخذ أخيه، من خلال مرحلتين:

1/ مرحلة طلب الإتيان بأخيه: حينما تحدث الإخوة ــ في رحلتهم الأولى لمصر ــ مع يوسف ــ عليه السلام ــ عن أخٍ لهم تركوه عند أبيهم، طلب يوسف ــ عليه السلام ــ منهم إحضار هذا الأخ، بعد أن أكرم وفادتهم وأرجع لهم ما أَحضروه من بضاعة. يقول تعالى: ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ [يوسف: 59]

2/ وضع صُواع الملك في وِعاء أخيه: بعد مجيء الإخوة بأخيهم في الرحلة الثانية لمصر، وتعريف يوسف ــ عليه السلام ــ بنفسه لأَخيه، وضع صُواع الملك في رَحْل أخيه المراد أَخذه. قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾ [يوسف: 70 ــ 72]

3/ طَلب تقرير العقوبة من الإخوة إنْ وجد صُوَاع الملك عند أَحدهم؛ لكي تكون العقوبة النازلة على مَن سيوجد الصواع في رَحْله مقبولة عند الإخوة، طلب يوسف ــ عليه السلام ــ من الإخوة أنْ يُحدِّدوا ويُقرروا بأنفسهم العقوبة التي ستنزل بمَن يَظهر عنده صُواع الملك؛ لتكون أَلزم لهم وأَثبت. يقول الله تعالى في بيان هذا الأمر: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي

1 إعلام الموقعين عن ربِّ العالَمين. (3 /171) .

2 ينظر: إعلام الموقعين عن ربِّ العالَمين. (3 / 171).

رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ [يوسف: 73 ــ 75]

4/ البدء في البحث عن صُوَاع الملك في أَوعية الإخوة قَبْلَ وِعاء أَخيه: كان من عظيم كيد يوسف ــ عليه السلام ــ، أنه عند البحث عن صُواع الملك لم يَبدأ برَحْل أَخيه كي لا يشك الإخوة بالخُطة المرسومة لأَخذ أخيه، فبدأ بالبحث في بأوعية الإخوة جميعاً، وكلما انتهى من البحث في وِعاء أَحدهم و لم يَجدْ صُواع الملك فيه ازداد سرور الإخوة، وتمكنت الطمأنينة في نُفوسهم، وتأكدت البراءة لديهم، ولكن المفاجأة الكبرى التي لم تَخطُر ببالهم بعد تلك الراحة التي تَنفسوها مع كل بحث في وعاء أحدهم، و لم يَظهر فيها صُواع الملك، كان الذُّهول والصدمة الكبرى حينما وجدَ صُواع الملك في وعاء أخيهم. يقول الله تعالى: ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: 76]

المطلب الثالث: الذكاء الانفعالي

رغم ما ابتلي به يعقوب عليه السلام من فراق ابنيه إلا أنه ما جَزِع ولا يئِس، وما تسخط قلبه ولا جوارحه على ما أصابه، إنّها قوة الإيمان التي تربط على القلب، فيسكن لأَقدار الله تعالى، وكذلك يوسف ــ عليه السلام ــ، على مدار الأحداث والمصائب التي تتوالى عليه، لم نَرَ منْه إلا سُكون نَفْسٍ، وطمأنينة قلبٍ، وهدوءَ انفعال.

إنّ القصة تربي في النفس: أنّ الجزع لا يُغير الواقع الأليم، ولا يدل إلا على خَوَار نَفْس وضعف إيمان، والشخصية الناجحة هي التي تواجه الصعاب بقوة التماسك الداخلي لكيانها، مستعينة في ذلك بالله تعالى.

المطلب الرابع: تنوع ثقافة الشخص

الشخصية المتميزة هي التي تمتلك مهارات متنوعة؛ لتستطيع التميز على المستوى الفردي والمجتمعي، فيوسف ــ عليه السلام ــ يمتلك تأويل الرؤى، وحُسن التخطيط، ومعرفة الحساب، وهي تجعله أقدر على قيادة البلاد في زمن مِحنتها، وكثرة مشاكلها، فالقائد يجب أن يمتلك مهارات عديدة للنهوض بأُمته، وقيادتها لشاطئ الأمان، وتجنيبها الويلات والكوارث، فالقيادة ريادة وليست منصب للسيادة.

المطلب الخامس: فن الإقناع

الإقناع هو: القدرة على تغيير أفكار الآخرين. وقد ظهرت مهارة الإقناع في المواقف الآتية:

1/ ثَنْي الإخوة عن قتل يوسف ــ عليه السلام ــ.

لقد قرَّر إخوة يوسف ــ عليه السلام ــ أن يَقتلوه بلا رحمة، ولا مُراعاة لعلاقة الإخوة التي تَجمعهم به، فانبرى أحد الإخوة لَثنيهم وتغيير فكرهم من قتله إلى إلقائه في بئر قديم بعيد عن منطقة سكنهم. قال تعالى: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ [يوسف: 10]. فقد ذَكَرَ اسم أخيه يوسف و لم يقل: لا تقتلوه بصيغة الغائب؛ لكي يُحرِّك الرحمة في قلوبهم تجاهه، ويَستَدِر إحسانهم وشَفقتهم عليه.

2/ أَخذ يوسف عليه السلام من أمام أبيهم:

لقد كان يوسف ــ عليه السلام ــ يَحظى بمكانة كبيرة في قلب يعقوب ــ عليه السلام ــ، فقرر الإخوة أَخذه من أبيهم بحيلة الإقناع؛ ليكونوا أبعد عن الشبهة والرِّيبة. فقال الله تعالى حاكياً مكرهم: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [يوسف: 11-12]

لقد استخدام الإخوة أسلوب الترغيب والتحفيز والتوكيد، فقد استخدموا لام التوكيد: (لناصحون)، والترغيب بشدة بعظيم ما سيلاقيه من الحفاوة والمتعة والانبساط باللعب، ولمزيد من الإقناع لأبيهم أضافوا الجار والمجرور: (له)؛ لبيان مزيد العناية الخاصة التي سيحظى بها يوسف معهم، وأكدوا ذلك بقولهم: لحافظون، بلام التوكيد[1].

وقد استخدم الإخوة مهارات الإقناع بالباطل؛ لتحقيق هدفهم بأخذ يوسف ــ عليه السلام ــ، فقد استخدموا:

- أسلوب الإقناع بالإحراج: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ﴾ [يوسف: 11]، فهم يُحركون جانب الأمانة عندهم، وأنهم غير متهمين في رعاية أخيهم، أم عندك شكٌّ في ذلك ؟!
- أسلوب الإقناع بالإغْراء: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [يوسف:12].

1 ينظر: النظم القرآني في سورة يوسف. (ص 99).

فيوسف ــ عليه السلام ــ سيعيش لحظات في غاية السعادة، من المتعة واللعب.

- أسلوب الإقناع بإعطاء العهود: ﴿وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ﴾ [يوسف: 12] ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [يوسف: 11]، فالعهد يُعطي الأمان والاطمئنان.
- أسلوب الإقناع بالمنطق: ﴿قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ﴾ [يوسف: 14]. فإظهار قوتهم وصلابة شخصياتهم وكثرة عددهم، يعطي طمأنينة وراحة.
- أسلوب الإقناع التودد: ﴿يَا أَبَانَا﴾ فهو لفظ يُحرك الأُنس والحُبّ[1].

المطلب السادس: حُسْنُ إدارة المواقف

كل موقف له ظروفه وطبيعته، والشخصية الناجحة مَن تُحْسن إدارة كل موقف بما يَقتضيه من واقع وحال وظروف، فتستخدم مع كل موقف ما يُناسبه من آليات وأدوات، حتى تُحقِّق النتيجة الحسنة الطيبة المرجُوَّة فيه، وهي مهارة يكتسبها المرء بالعلم والتجربة. قال د. جميل أبو العينين: التوفيق في اتخاذ القرارات هو نجاح الإدارة. وقال هربرت سايمون: «إنّ اتخاذ القرارات هو قلب الإدارة. فاتخاذ القرارات هو أساس الإدارة وجوهرها، بل هو قلبها النابض»[2].

لقد ظهر في شخصية يوسف ــ عليه السلام ــ حكمته وحنكته وحُسن إدارته للمواقف التي مرّ بها، سواء مع إخوته، أو مع امرأة العزيز، أو السجناء أو محنة مصر، لقد أدار كل موقف بما يُناسبه من صبرٍ أو عفةٍ أو دعوة للحق أو قيادة مصر أو عفوٍ، فهو توازن رائع في شخصيته انعكس خيراً عليه وعلى غيره.

1 ينظر: البُعد التصويري في القرآن الكريم سورة يوسف نَمُوذجاً. (ص 124) .

2 الإدارة في سورة يوسف. (ص 150).

المبحث السادس: المهارات التربوية مع الآخرين

المطلب الأول: التواضع

التواضع: خُضوع القلب لله تعالى، ولِيْن الجانب للمؤمنين.

لقد تجلَّى في يوسف ــ عليه السلام ــ في خفضه جناحه لأبيه ــ عليه السلام ــ، قال تعالى: ﴿يا أَبَتِ﴾ [يوسف: 4]. «عبارة فيها التواضع ولين الجانب، خَفْض الجناح للأبِ، كيف لا، وهو أصل الإنسان، ومصدر الأمان، ونبع الحنان، ففي هذه العبارة الرفق واللين، واستمالة قلب الأب، والتواضع، وخفض الجَناح عند مُخاطبته، أو مَن هو في مقامه»[1]. وقال الإمام الشافعي ــ رحمه الله ــ: «التواضع من أخلاق الكرام، والتكبر من شيم اللئام، التواضع يورث المحبة، والقناعة تورث الراحة».[2]

وظهر تواضع يوسف ــ عليه السلام ــ في أمورٍ عدة، كمخاطبته السجناء بلطف ورِفق وودٍّ واحترام، فقال: ﴿يَا صَاحِبَيْ السِّجْنِ﴾ [يوسف: 39]، ولطفه في التعامل مع إخوته حينما قَدِموا إلى مصر لطلب الطعام على رغم ما فعلوه معه مِن الإيذاء الشديد.

المطلب الثاني: الأمانة

الأمانة: هي القيام بما طُلِب مِن الشخص بصورة صحيحة.

إنّ الأمانة عنوان الشخصية الصادقة والمنسجمة مع ذاتها ومبادئها السليمة، فترتقي بصاحبها للمعالي، ولثقة الآخرين بها، وتفاعلهم معها الحوار والعمل؛ لأنهم يَرون سلوكاً سليماً معهم، وأداء الحقوق للجميع بلا مُحاباة ولا خداع. يقول الله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: 54 ــ 55]

إن السؤال الذي يتبادر للمتدبر: كيف عَلِمَ الملكُ بأمانة يوسف عليه السلام ؟

والجواب بكل وضوح: مِن خلال اطلاع الملك على عفة يوسف ــ عليه السلام ــ عن الفاحشة، مع توفر دواعيها له بكل سهولة وسِتر، فمن عَفَّ عن خيانة سيده في عرضه، وتحمله

1 الحوار المفقود تأملات في الحوار مِن خلال سورة يوسف صلى الله عليه وسلم. (ص 15).
2 سير أعلام النبلاء. (ج 10/ 99).

السجن سنين، دليل صدق وبرهان ساطع على علو كعب يوسف ــ عليه السلام ــ في الأمانة، ومَن كان كذلك فهو جدير بأن يكون أميناً على أموال الناس، ورعاية مصالحهم بأحسن أسلوب، وأفضل إدارة.

المطلب الثالث: العدل

العدل هو: إعطاء صاحب الحق حقَّه. فالعدل صفة الرب تعالى، بها تصلح النَّفْس، وتقوم المودات، وتَعمر البلدان، وتزيد البركات. يقول الله تعالى: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [يوسف: 51]

إذاً «هو مَلكٌ عادل، يَسعى إلى الحق ويَطلُبُه، ويُحقِّق في قضية يوسف ــ عليه السلام ــ بنفسه، يُولي عنايةً بالأمور المهمة، وقد صَوَّر اللفظ: (خطب) خُطورة الأمر»[1]. يقول مالك بن أنس ــ رحمه الله ــ: «ما في زماننا شيءٌ أقل مِن الإنصاف»[2]. وقال الإمام الذهبي ــ رحمه الله ــ: «الإنصاف عزيز»[3].

المطلب الرابع: الرفق

الرفق هو: التلطف في طلب الحق أو إزالة المنكر. قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: 50]

لقد كان يوسف ــ عليه السلام ــ حَصيفاً حينما لم يَستعجل الخروج مِن السجن، وقد مكث فيه سنين عدة ظلماً، فقد تأنّى في عدم الخروج مِن السجن حتى تظهر براءته، وتسطع أصالته وأمانته، حتى يَخرج للمجتمع، طاهر الثوب، نقي العِرض، لا تلوكه الأَلسنة في المجالس، فمن كان كذلك لا يصلح للولاية، ولا يعيش قرير العين بين أفراد مجتمعه، فالبراءة أولاً ثم الخروج على نورٍ.

---

1 البُعد التصويري في القرآن الكريم سورة يوسف نَمُوذجاً. (ص 136).

2 الجامع لأحكام القرآن. (1 / 286).

3 سير أعلام النبلاء. (13/ 120 ، 20/ 203).

المطلب الخامس: الرحمة

الرحمة هي التعامل مع الخلق بلُطفٍ وإحسان. وهي من خصال العِظام، وأصحاب المعالي الكِرام، تُحفِّز الشخص للإحسان للآخَرين، وبَذل النَّدى لهم بلا مُقابل، والترفُّع عن حظوظ النَّفس في الانتقام. «وهنا تظهر شهامة يوسف وعزة يوسف وكرامة أصله، فلم يشترط أنْ يُخْرِجَه الملك من السجن، ويُطْلِقَ سَرَاحَه حتى يُعبِّر له الرؤيا، بل انطلق يُفَسِرُها لهم تفسيراً واقعياً دقيقاً؛ لأنّه شَعَرَ أنّ البلادَ مُقْبِلَةٌ على مخاطِر، وسيقع فيها قَحْطٌ وجَدْبٌ، قد يؤدي بحياة البشر»[1].

لقد دخل يوسف ــ عليه السلام ــ السجن مظلوماً من السلطة العليا في الدولة، مع ظهور براءته ظهوراً بَيِّناً جليًّا، إنه لم يُحَمِّل المجتمع ظلم السلطة العليا له، و لم يكن يُفَكِّر في نفسه، بل تسامى عن حقه الشخصي في الخروج من السجن، وقَدَّم مصلحة الأمة التي يعيش فيها، وأحسنت إليه سنين، إنّ هذه الرحمة بالمجتمع نابعة بما يَملكه من رحمة واسعة في قلبه، تسمو به لرحمة الآخرين، وتُحْسِن إليهم رغم الإساءة التي تلقَّاها وهو درس عظيم لمن يعيش في مجتمعات غير إسلامية أن يكون رحيماً بهم، آخِذاً بهم إلى بَرِّ الأمان والسعادة والحياة الهنيئة، حتى ولو لم يؤمِنوا بالإسلام ديناً؛ لأنه دين الرحمة لا دِين الإكراه.

وإنا لنرى «إنّ يوسفَ لم يكن أسير انفعالاته، فقد رَاحَ يُقَدِّم الجواب عن طِيب خاطر، ولَم يُحاوِل استغلال الموقف»[2].

والصورة الأُخرى في الرحمة في الآيات الكريمة حينما قال الله تعالى: ﴿قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾ [يوسف: 72]

فمن الأساليب التربوية في صناعة الشخصية: الرحمة بالمخطئ من خلال إعطائه «فرصة ليعود عن خطئه، فيوسف عليه السلام لم يَعِدْهم بالعفو فقط عن الجاني، إذا رَدَّ الصُّوَاع، بل وعدهم بإعطائهم حِمل بعير بدلاً منه، فليس الغرض اعتراف الجاني، ولكن المهم إصلاح ما أَفسده، وتشجيعه على التخلص من الذَّنب»[3].

---

1 التفسير الواضح الميسر. (ص 586).

2 سورة يوسف قراءة نفسية. (ص 898).

3 تدبر سورة يوسف تهذيب آيات للسائلين. (ص 75).

ومن الرحمة المحبوبة بكاء العين وحُزْن القلب، فهو دليل على رِقة المشاعر، ورهافة الأحاسيس، ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يوسف: 84]. وهي مشاعر الأب الرحيم بأبنائه، المشتاق للقائهم، وضَمِّهم بين جوانحه، وسماع عَذْب حديثهم.

المطلب السادس: الكرم

الكرم صفة الأنبياء والعظماء، تستر العيوب، وتكشف الكروب، وتُرضي علام الغيوب. ولقد تجلى كرم عزيز مصر حينما اشترى يوسف ــ عليه السلام ــ، وجعله مُقرباً من نفْسه، كقرب الابن من أبيه، واحتفى به في بيته، فأنزله في مكانة كبيرة.

يقول الله تعالى:﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: 21]

وقال الله تعالى:﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ [يوسف: 39]

لقد استمر كرم يوسف ــ عليه السلام ــ بعد توليه خزائن مصر، فأحسن أيّما إحسان إلى من أساء إليه أشد الإساءة، فتسامى عن إساءتهم، وتعالى عن معاقبتهم عن جريمتهم بحقه، إنه كرم الأخلاق في أبهى صورة.

إنّ مَن يعيش في بيئة متوترة مشحونة بالمنازعات والأحقاد والمكائد سيصعب عليه أن ينشأ نشأة هادئة متزنة، وتكون شخصيته هادئة مطمئنة. فهذه بيئة ليس يسود فيها الكرم فضلاً عن أنْ يَتَرعرع الشخصُ على الكرم المادي والكرم المعنوي، بتحمّل الناس، والعفو عن المسيئين، وغُفران زلاتهم، والتجاوز عنهم بأريحية وسُمو نفسي.

المطلب السابع: النصيحة

أساس قيام الدين، ونُصرة الإسلام والمؤمنين وإصلاح المــُخطئين، وبناء المحبة بين المسلمين، فهي البَلْسَم لالتئام جروح المُذنبين، وكسر الباطل من الميادين، وبها يُخْذَل الشيطان اللعين، ويُنصَر الحق في العالَمين.

وقد برزت أهمية النصيحة بصورة عملية من خلال الآتي:

1/ نصيحة يعقوب ــ عليه السلام ــ لابنه يوسف ــ عليه السلام ــ ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [يوسف: 5]. «وقوله هذا هو تحذيرٌ له، مع ثقته بأنّ التحذير لا يُثير في نفسه كَراهة لإخوته؛ لأنه وَثِقَ بكمال عقله، وصفاء سَرِيرته، ومكارم خُلُقِه، ومَن كان هذا حاله كان سَمحاً عاذِراً مُعْرِضاً عن الزلات»[1].

2/ «من بديع معنى النصح والإرشاد قوله تعالى على لسان الفتى الذي نَجَا من الموت، وعودته إلى قَصْرِ المَلِك: ﴿أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾ [يوسف: 45]، فلم يَتردد بنصيحة الملك ومَن معه بإرشادهم إلى مَن يقوم بتفسير الرؤيا.

3/ نصيحة يوسف ــ عليه السلام ــ لأهل مصر ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ﴾ [يوسف: 47] ، لقد «تَحققت دلالة النُّصح والإرشاد بجلاء، فقوله: فَذَرُوهُ نُصْحٌ وإرشاد، بدليل الجملة الخبرية (تَزْرَعُونَ) التي تُفيد الأمر، وأصل الكلام في[2] تَزْرَعُونَ: ازْرَعوا، وإنّما يَخْرُج الأمر في صُورة الخَبَر للمبالغة في إيجاب إيجاد المأمور به فيُجْعَلُ كأنه يُوجَد، فهو يُخْبِر عنه»[3]. لقد نصحة بكل مكامن الصدق وحب الخير للجميع رغم الظلم الذي تلقاه.

4/ نصيحة يعقوب لأبنائه: ﴿وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [يوسف: 67] ، رغم الجراح التي تسببوا فيها لأبيهم إلا أنّ الصادق الرحيم لا يُقصِّر في النصيحة للآخرين رغم إيذائهم، وهي خصلة تَنشأُ من قلبٍ رحيم يُحبُّ الخير للآخَرين.

المطلب الثامن: الحِلْم

الحِلْم هو: الصَّفح عمّن أساء مع القدرة على عقوبته. فالحلم صفة كِرام الناس، والسادة من الناس، فلا سيادة بلا حِلْم، فمَن حَلُمَ كَرُمَ أَصْلُه، ونَبُل خُلُقه، وحَسُن عَمله، وازداد خَيْرُه.

---

1 القصص القرآني بين الآباء والأبناء. (ص 165).

2 النظم القرآني في سورة يوسف. (ص 94).

3 الكشاف. (2 / 476).

إنْ من حُسن تربية يعقوب عليه السلام لأبنائه قدرته على استيعاب أخطاء أبنائه بصبر وحِلْمٍ كبير، لقد استقبل نبأ مقتل ابنه يوسف ــ عليه السلام ــ بحلم كبير، ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: 18]. فلم يُظهر الشكوى، ولم يَجْزَعْ لعظيم البَلْوَى، ولم يُعنِّف أبناءه مُطْلَقاً، ولم يُعاملهم بنوعٍ من العنف، ولم يُظْهِر لهم الجَفْوَة، بلْ استوعبَهم بطيب النفس، وهذا يُظهر مدى حُبِّه لأبنائه، رَغم سُوء فعلهم. وظهر الحِلْم وتجلَّى حين اتُّــهِمَ بالسرقة من إخوته، فيقول الله تعالى في ذلك: ﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: 77]

إنها تُهمة سيئة، وتقال له في وجهه، بكل جرأة فيكتم غيظه، ويَتجاوز عن إساءتهم، وهو عزيز مصر، يَملك زِمام القوة والهيبة، لكنه يَتسامى عن اتهامهم له بالسرقة، فلا يُجازي السيئة بالسيئة، ولكن بالعفو والمــُسامحة، وتلك أخلاق العظماء.

المطلب التاسع: الوفاء

الوفاء هو: إكرام مَن أحسن للشخص بالقول أو الفعل. فالوفاء شيمة كرام الناس وأصحاب المروءة وأهل الإيمان، ومَن يَحفظ الودَّ للخِلَّان.

فهذا يوسف ــ عليه السلام ــ يتجلى موقف وفائه لمن أحسن إليه وأكرمه غاية الإكرام، فالنفوس الكريمة لا تَرشَح إلا عِطراً فوَّاحاً يَملأ الأجواءَ خيراً وإحساناً وطهارةً وعِفة، ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [يوسف: 23]

المطلب العاشر: الصبر

الصبر هو العمود الفقري للإيمان، والصدق هو الدم المـــُغذِّي للقلب، والإخلاص هو الروح للأعمال الصالحة. كيف لا يكون كذلك و«الصبر بجميع أقسامه أصل مقامات الإيمان، وهو أصل لكمال العبد الذي لا كمال له بدونه»[1].

وقد تجلّى الصبر بصور متنوعة مع أحداث عديدة، وهي:

1/ صبر يعقوب ــ عليه السلام ــ على إيذاء أبنائه له: قال الله تعالى: ﴿وَجَاءُوا عَلَى

1 طريق الهجرتين وباب السعادتين. (ص 270).

قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: 18].

فيعقوب عليه السلام «لولا استعانته بالله ولجوئه إليه لَمَا استطاع أن يَصبر، فبالاستعانة بالله القادر على كل شيء يستطيع المسلم التغلب على الصعوبات والأزمات التي تواجهه في حياته»[1]. وشتان شَتَّان بين الصبر والصبر الجميل، يقول الإمام ابن القيم ــ رحمه الله ــ: «وسمعتُ شيخ الإسلام ابن تيمية ــ قدس الله رُوحَه ونَوَّر ضَرِيْحهُ ــ، مِرَاراً يقول: ذَكَرَ اللهُ الصبرَ الجميل، والصفح الجميل، والهجر الجميل، فالصبر الجميل: الذي لا شَكْوى معه، والهجر الجميل: الذي لا أَذَى معه، والصَّفْح الجميل: الذي لا عِتَابَ معه»[2].

ثم إنّ يعقوب ــ عليه السلام ــ ابتلي بمصيبة أُخرى كُبرى بفقدان ابنه الثاني في الاسترقاق عند عزيز مصر، فكان بلسم الصبر الجميل يملأ قلبه تسليماً ورضىً بقَدَرِ الله تعالى، فيفيض على لسانه وجوارحه، فيقول تعالى عنه: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف: 83]. فالصبر الجميل يَخرجُ من قلبٍ أصيل، ممتلئ حُباً للربِّ الجميل.

2/ صبر يوسف على اتهام إخوته له بالسرقة: قال تعالى: ﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: 77]

إن صبرَ العبد على إيذاء الخلق له من صفات الصابرين الصادقين الذين يَدفعون السيئة بالحسنة، والإيذاء بالإحسان، وهو أمر لا يقوى عليه إلا مَن يريد رضى الله تعالى، فيتحمل الإيذاء طلباً لِمَا عند الله من الجزاء الجميل.

1 دور العقيدة في بناء الشخصية المسلمة في ضوء سورة يوسف عليه السلام. (ص 55).

2 بدائع الفوائد. (ج 3 / 112 ــ)113 ، ومجموع الفتاوى. (ج 10 / 666).

الخاتمة

في الختام يخلص الباحث للنتائج التالية:

- إبداع وروعة القرآن الكريم في بناء الشخصية التربوية مِن خلال أسلوب القصة الواقعية.
- الشخصية الناجحة تربوياً عليها أنْ تُطَهِّرَ كيانها مِن الصفات السلبية لترتقي.
- الشخصية الناجحة تربوياً عليها أن تغرس الصفات الإيجابية في كيانها لتصل إلى رضى ربها جلَّ جلاله.
- قوة شخصية يوسف ــ عليه السلام ــ بتحقيق الرضى الداخلي في شخصيته.
- مِن سمات الشخصية الناجحة تربوياً ضبط الانفعالات النفسية مع المواقف الصعبة التي تواجهها في دُروب الحياة.
- الشخصية الناجحة تربوياً تمتلك مهارات التفاعل الإيجابي مع الصِّعاب، كما كان عند يوسف ــ عليه السلام ــ.
- قوة ثقة يعقوب ــ عليه السلام ــ بربه تعالى، وانعكاس ذلك عليه عملياً عند المِحن العظيمة.
- تنوّع صُور الصراع بين الحق والباطل، وأنّ الحق له الغلبة في النهاية.
- مَن حقق الإخلاص والصدق والتوكل على ربه تعالى وبذل الأسباب المشروعة للنجاة مِن الشر أو لتحقيق الخير أعانه الله تعالى.

ويوصي الباحث:

- بمزيد مِن الاعتناء بقصص القرآن وخاصة سورة يوسف، فهناك جوانب ما زالت بحاجة ماسة لدراستها، واكتشاف دُرَرِها وكنوزها، وربطها بالواقع؛ لتقديمها للمجتمع والشباب خاصة؛ لاستثمار ذلك في حياتهم.
- عمل برامج إعلامية متنوعة لنشر عَبَق وأريج قصة يوسف ــ عليه السلام ــ خاصة، والقَصص القرآني عامّةً للناس؛ لبيان أساليب التربية ومقاومة صِعاب الحياة بأسلوبٍ سهل وشَيِّق.

المصادر والمراجع

- الإحسان في تقريب صحيح ابن حِبَّان، محمد بن حِبَّان، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ، ط1، 1988م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت.
- أحكام القرآن ، محمد ابن العربي ، تحقيق : محمد عطا ، ط3 ، 2003م ، دار الكتب العلمية ، بيروت.
- الإدارة في سورة يوسف عليه السلام ، (رسالة ماجستير غير منشورة) ، نايف قرموط ، 2009م ، الجامعة الإسلامية ، غزة .
- أساليب التدريس والتقويم والقيم الأخلاقية في سورة يوسف عليه السلام ، بكر المواجدة، (2014م) ، مجلة البلقاء للبحوث والدراسات ، الأردن .
- الإسلام والعَلمانية وجهاً لِوجه ، يوسف القرضاوي ، دار الصحوة ، القاهرة .
- إعلام الموقعين عن رب العالمين ، محمد بن قيم الجوزية، تحقيق : محمد إبراهيم ، ط1، 1991م ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- إغاثة اللهفان مِن مصايد الشيطان، محمد بن القيم، تحقيق : محمد الفقي ، مكتبة المعارف، الرياض.
- بدائع الفوائد ، محمد بن قيم الجوزية ، 1989م، دار الكتاب العربي ، بيروت.
- البُعد التصويري في القرآن الكريم سورة يوسف نَمُوذجاً، مريم سعود، 2006م، جامعة الجزائر ، الجزائر .
- بناء السَّرْد القصصي في سورة يوسف ، كمال غنيم ، 2011م ، مجلة الأقصى .
- تدبر سورة يوسف تهذيب آيات للسائلين، ناصر العمر، ط1، 2015م، دار الحضارة، الرياض.
- التسهيل لعلوم التنزيل ، محمد بن جزئ ، تحقيق : عبد الله الخالدي ، ط1، 1416هـ ، شركة دار الأرقم، بيروت .
- التفسير الواضح الميسر ، علي الصابوني ، د. ط، د. ن ، د.ت .
- الجامع لأحكام القرآن ، محمد القرطبي ، تحقيق : أحمد البردوني ، ط2، 1964م ، دار الكتب المصرية، القاهرة .

- الجانب التربوي في سورة يوسف عليه السلام ، محمد الوعيل ، (رسالة دكتوراة غير منشورة) ، (1999م) ، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية ، السودان .
- جمالية النظم القرآني في قصة المــُراوَدة في سورة يوسف عليه السلام ، عُوَيِّض العَطَوي ، (2010م) ، مركز تدبر ، السعودية .
- الحوار المفقود تأملات في الحوار مِن خلال سورة يوسف ﷺ، د ط ، د ن ، د ت .
- دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجُرجاني ، تحقيق : ياسين الأيوبي ، ط1، المكتبة العصرية، مصر.
- دور العقيدة في بناء الشخصية المسلمة في ضوء سورة يوسف عليه السلام ، عطاف حتحت ، (رسالة ماجستير غير منشورة) ، (2000م) ، الجامعة الإسلامية ، غزة .
- زَهْر الكِمَام في قصة يوسف عليه السلام ، عمر الأَوسي ، تحقيق : كمال الدين علام ، ط1 ، (2003م) ، دار الكتب العلمية، بيروت .
- سِرَاج الملوك ، محمد الطرطوشي ، (1872م) ، أوائل المطبوعات العربية، مصر .
- السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير ، محمد الشربيني، (1285هــ) ، مطبعة بولاق الأميرية، القاهرة .
- سورة وسيرة قصة وعبرة . إبراهيم العتراوي ، د.م ، د.ن، د.ت .
- سير أعلام النبلاء ، محمد الذهبي ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، ط3، (1985م) ، مؤسسة الرسالة، بيروت .
- طريق الهجرتين ، محمد بن قيم الجوزية، ط1 ، (1996م) ، الدار السلفية، القاهرة .
- عُدَّة الصابرين وذَخيرة الشاكرين ، محمد بن قيم الجوزية ، ط3 ، (1993م) ، دار ابن كثير، دمشق .
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن حجر، تحقيق : محمد فؤاد ، (1379هــ)، دار المعرفة، بيروت.
- الفوائد ، محمد بن قيم الجوزية ، ط2، (1394هــ) ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- في التذوق الجمالي لسورة يوسف، محمد أبو حمدة، ط1، (1985م) ، دار البشير عمان.
- القصص القرآني بين الآباء والأبناء، عماد حافظ، (رسالة ماجستير غير منشورة)،

(1988م) ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة.

- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، محمد التهانوي ، تحقيق: علي دحروج ، ط1، (1996م) ، مكتبة لبنان، بيروت .
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، محمود الزمخشري ، ط3، (1407هـ) ، دار الكتاب العربي، بيروت.
- محاضرات الأدباء ومُحاورات البُلَغاء والشعراء، الحسين الأَصفهاني ، ط1، (1420هـ)، شركة دار الأرقم بيروت .
- مدارج السالكين في منازل إيَّاكَ نعبد وإيَّاكَ نستعين ، محمد بن قيم الجوزية ، (1999م)، ط 3، دار الكتب العلمية، بيروت .
- المصنف ، عبد الله بن أَبي شَيبة ، تحقيق: كمال الحوت ، ط1 ، (1409هـ) ، مكتبة الرشد، الرياض.
- النظم القرآني في سورة يوسف، جمال الحاج، (رسالة ماجستير غير منشورة)، (2000م)، جامعة النجاح ، نابلس .
- الوابل الصيب مِن الكَلِم الطيب ، محمد بن قيم الجوزية ، تحقيق : سيد إبراهيم ، ط3 ، دار الحديث، القاهرة .
- يوسف بن يعقوب عليهما السلام منهج جديد لدراسة قصص الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم على ضَوء التحدي القرآني والتأويل المبين لوجوه الإعجاز ، أحمد خَلَف الله ، ط1، (1978م) ، مطبعة السعادة .

مدين جمال الصالح. (mdynjmal@gmail.com) (هاتف: 00970592230256)
متحصل على ليسانس أصول الدين سنة 1999م. الجامعة الأردنية. الأردن.
متحصل على ماجستير في الحديث النبوي سنة 2002م. الجامعة الأردنية. الأردن.
متحصل على الدكتوراه في الحديث النبوي سنة 2010م. الجامعة الأردنية. الأردن.
تولى التدريس في جامعة القدس المفتوحة وجامعة النجاح الوطنية في غزة بفلسطين. وناقش مجموعة من رسائل الماجستير.
من أعماله البحثية: منهج الإمام البخاري في اختيار مرويات الإمام عبد الملك بن جريج في كتابه الجامع الصحيح/ النُّكَت البلاغية والنَّحوية في جامع البيان للطبري. وله كتب أخرى مطبوعة في دار المبادرة بالأردن. وبحوث منشورة.